

التعذيب في مذكرات وشهادات الجلادين الفرنسيين بول أوساريس أنموذجا

أ.د. شعيب مقنونيف – جامعة تلمسان
حمرة حسني (دكتورالي) - جامعة تلمسان

الملخص:

لم تقتصر حرب الإبادة المسلطة على الجزائريين على التقتيل والمجازر الجماعية والفردية بل اتسعت إلى أشكال القمع والتنكيل بوسائل أقل ما يقال عنها إنها وحشية تتنافى والأعراف والمواثيق الدولية المرتبطة بحقوق الإنسان. وقد شكّلت مسألة التعذيب إبان الثورة التحريرية قضية محورية استقطبت الرأي العام حول التجاوزات التي مارسها الجيش الاستعماري والمؤسسات الأمنية وغلاة المستوطنين الذين تفتنوا في تعذيب الوطنيين الجزائريين، وقد ظلت فرنسا الرسمية تنفي هذه الممارسات غير أن شهادات الجلادين الذين دونوا مذكراتهم جاءت لتدحض الأكاذيب الاستعمارية والتضليل الإعلامي المطبق، ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لهذه الورقة التي تركز على مثال حي بشهادة جلاد من بين عديد الأمثلة المنشورة اليوم. الكلمات المفتاحية: التعذيب / مذكرات / شهادات / الجلادين الفرنسيين / بول أوساريس

Abstract :

The question of torture, during the Algerian revolution, has been subject of debate and central issue that attracted public opinion about the abuses practiced by the colonial army and security institutions and even settler zealots. In fact The limits of the collective killings, massacres and genocide inflicted to Algerians has been as forms of repression and abuse brutal and contrary to international norms and conventions related to human rights.

However the French authorities, and for many decades, has officially denied these practices except for the torturers who wrote the memoirs and came to refute colonial lies and misinformation. In this sense we have chosen this paper to focus on the testimony of one of

the living example of those torturers who published their testimonies.

Key words: Torture / diaries / Testimonies / French torturers / Paul Osarris

أولا - ..وكان التعذيب منذ البداية:

إن سياسة الإجرام الوحشي انتهجت منذ الأيام الأولى لاحتلال الجزائر سنة 1830م، وليس إبان الثورة التحريرية فقط، فالعمليات العسكرية الأولى التي نُفذت سنة 1830م لم تخل من عنف وحشي، وهذا ما أكدته التقارير المرفوعة إلى الملك سنة 1833م، حيث أشارت إلى إرسال الناس إلى التعذيب لمجرد الشك فيهم، وبدون أية محاكمة، حيث جاء فيها على لسان ما ارتكبه العساكر في حق السكان: >> لقد أرسلنا أناسا إلى التعذيب، لمجرد شك وبدون أية محاكمة، أشخاص تورطهم غير أكيد...لقد قتلنا أناسا يحملون جوازات المرور، وذبحنا أعدادا كبيرة من السكان لمجرد شك قبل أن يتضح من بعد أنهم أبرياء، وحاكمنا ذوو مكانة مرموقة في البلاد كالصالحين، وممن كان لهم وقار كبير لأنهم امتلكوا الشجاعة الكافية للمجيء أمام عنفنا الجنوني، من أجل الوساطة لأبناء جلدتهم. فاستقبلناهم بقضاة لمحاكمتهم، ورجال متحضرين لإعدامهم...في كلمة واحدة فاقت بربريتنا البرابرة الذين جننا لنحضرهم، ورغم كل هذا لم نوفق في مهمتنا<<1.

إذن هي آلة عسكرية جهنمية تتأثر لهزائمها على الجبهات الأوروبية والهند الصينية، تطبق في بلادنا سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية (Génocide) ضد شعب أعزل ووحيد يرفض طبعه الذل والخنوع، وينتفض على جلاليه >> مرة على الأقل كل عشر سنوات طوال تلك الحقبة الحالكة والمأساوية من تاريخه (1830-1964) المليء بالمحنوالامتحانات، حتى المجابهة الفاصلة في الأول من نوفمبر 1954<<2.

فقد نفذت السلطات الإستدمارية الفرنسية المدنية والعسكرية، إبان الاحتلال بعامة، والثورة التحريرية بخاصة مخططاً إجرامياً لإبادة الجزائريين، وعمدت إلى

1 رافائيل برانش، التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار أمدوكال للنشر، 2010، ص 17.

2 محمد العربي ولد خليفة، الجزائر المفكرة والتاريخية أبعاد ومعالم، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، 2010، ص 201.

استخدام كل الآليات الممكنة والمتوفرة لديها، حيث لم تستثن في سياستها القمعية والعقابية أي أحد، بل وسعتها لتشمل من دون تمييز المدنيين العزل من أطفال ونساء وشيوخ¹. وبذلك ارتكبت فرنسا على إثرها مئات المجازر الجماعية، وحالات التقتيل الفردي والعشوائي، وفي هذا الإطار استعانت القوات الفرنسية بعدة وسائل وقوانين عقابية تتعارض مع القوانين الدولية وحتى الفرنسية أطلقت عليها السلطات السياسية الاستعمارية اسم "القوانين الخاصة"²(les pouvoirs spéciaux).

فإلى جانب عمليات الاستيطان واغتصاب الأراضي الصالحة للزراعة شنت قوات الاستعمار الفرنسي حرب إبادة منظمة للسكان، بتوجيه من قادة الجيش، وارتكبت مجازر جماعية استهدفت مئات السكان والقبائل الجزائرية³، خاصة تلك التي أبدت رفضها للاستعمار الفرنسي، وقد عبّر عن هذه السياسة الإجرامية أحد الفرنسيين المشاركين، في إحدى عمليات الإبادة كمايلي: <<إن مسألة العرب قبرت نهائيا، ولم يبق لهم سوى الموت أوالهجرة أو قبول الخدمة عند أسيادهم، هل يستيقظون قبل أن تطلق عليهم رصاصة الرحمة؟ أتمنى ذلك>>⁴.

وأتسمت عملية الإبادة قبل حدوثها بنوع من التخطيط المسبق للعملية حيث يصفها أحد القادة الفرنسيين بقوله: <<وقد تتخذ الإجراءات الصارمة للإطاحة بالقبيلة المنوي تدميرها بقوات كبيرة، بحيث يكون الهرب مستحيلا لأي مخلوق، والسكان الآمنون لا يدركون الخطر المحدق بهم، إلا عندما يسمعون قرع الطبول التي تضرب نغمة مؤذية للسمع وبعد ذلك تحدث المفاجأة التي لا يوجد لها مثيلا إلا فيما نعرفه من قصص إبادة الهنود الحمر>>⁵.و يعترف "الكونت ديريسون" (d'hérison) هو الآخر في كتابه "مطاردة

1 ينظر: عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية والثورة الجزائرية، مطبعة دار الشهاب، باتنة، د.ت، ص 124.

2 ينظر: إبراهيم شيبوط، "أحداث 20 أوت 1955"، مجلة أول نوفمبر (جزائرية)، عدد 68، 1984، ص98.

3 ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية: الجزائر، 1965، ج1، ط1، ص10.

4 نفسه.

5 الكولونيل أسكوت: مذكرات العقيد أسكوت من إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة وتعليق، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 1981، ص91.

الإنسان" (La chasse à l'homme) قائلا: >> إننا والحق يقال أتينا ببرميل مملوءة أذانا غنمناها أزواجا من الأسرى>>1.

يا هل ترى لماذا قُطعت أذان الأهالي وتمّ جمعها؟ يؤكد "ديريسون" أن في أيام احتلال بلاد القبائل سنة 1857 كان قادة الاستعمار الفرنسي يشجعون الجنود ويعطوهم عشر (10) فرنكات عن كل زوج من أذان الأهالي التي يحضرونها2.

إن الطريقة التي انتهجتها إدارة الاحتلال الفرنسي في إبادة الشعب الجزائري، لم تعدها البشرية إبان القرنين التاسع عشر (19)، والعشرين (20) مثلها إلا قليلا، بحيث تناست هذه الإدارة شعاراتها الجوفاء التي حققتها ثورتها في سنة 1789 وهي: "العدالة"، و"المساواة"، و"الإخاء"، وهي شعارات نحسبها لا تخرج عن النطاق الجغرافي لفرنسا فقط3.

فأين هي إذن الادّعاءات الخادعة عن مهمّة فرنسا التمدينية في الجزائر4؟ ولافتات الإشهار البراقة عن الإنسان وحقوقه التي تضمنها إعلان 1793، ألّم تُعلن بلادنا بعد

1 السعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962 - رواد المقاومة الوطنية في القرن 19، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، ط 02، 2004، ص 24.

2 نفسه: ص 25.

3 لم تطبق فرنسا الاستدمارية في يوم من الأيام شعارات ثورتها على شعوب مستعمراتها، بل جسدت الفكر الكولونيالي وجعلته يوجه سياستها خارج جغرافيتها. ينظر: بوعزة بوضرساية وآخرون: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، ص 243.

4 ابتداءً من عام 1957 >> قفز التعذيب من سراديب السجون والمواقع المتخصصة إلى مسامع الرأي العام في كل من الجزائر وفرنسا، فأمسى عاملا إضافيا، لكنه شديد الخصوصية، في تغذية أتون الحرب الدائرة بين الطرفين كما أنه لم يلبث أن نال من الاهتمام الفكري حيزا حاصبه كموضوع يغني الدراسات حول الاستعمار>> (أحمد رضوان شرف الدين، "التعذيب: قراءة في جريدة المجاهد (1957-1962)"، مجلة المصادر (جزائرية)، العدد 8، ماي 2003، ص 19).

وبذلك يعد، التعذيب، إبان حرب التحرير الجزائرية، أحد اهتمامات المؤرخين والدارسين المنشغلين بجرائم فرنسا في الجزائر فحسب، بل محل اهتمامات السياسيين أيضا الذين تعالت أصواتهم مطالبة فرنسا بتقديم اعتذارات رسمية للشعب الجزائري على ما ارتكبته جيوشها من عمليات تعذيب وتقتيل في حقّه. وجرى التركيز في هذا العرض على البعد السياسي للتعذيب حتى يتبين للقارئ وللسماع أن فرنسا رسولة التمدن وصاحبة المبادئ الإنسانية، وموطن حقوق الإنسان والمواطن، أصبحت هي بالذات مبتكرة فنون الوحشية وتكنولوجيا التعذيب لذا وجدنا كثيرا من الدارسين يثيرون مسألة التعذيب في الجزائر و منهم على وجه الخصوص: بن يمين ستورا

مروراً أقل من أربعة عقود من هذا الإعلان (1793-1830) منطقة مباح فيها القتل والدمار الشامل والتجهيل والتجويب.. واستمرت تلك المهام القذرة دونما انقطاع حتى فجر 1962. فيها هو أحد الضباط الفرنسيين يشرح لزميله في رسالة إلى الجنرال "مونتانيك" (MONTAGNAC): >> هكذا يجب محاربة العرب.. أقتل كل الأشخاص حتى سن 15 سنة، خذ كل النساء والأطفال، أملئ السفن بهم وابعثها إلى جزر الماركيز أو إلى مكان آخر، في كلمة واحدة يجب إبادة كل من لا يأتي إلى أرجلنا كالكلاب>>1.

(Stora Benjamin) الذي استند في معظم أبحاثه عن تاريخ حرب الجزائر وثورة التحرير، والتعذيب إلى مقالات وشهادات الفرنسيين أنفسهم من أمثال:

- "كلود بوردي" (Claude Burdet) صاحب مقال: (Votre Gestapo) الذي نشر في جريدة "France - observateur"

خلال يناير 1955.

- "بيار فيدال ناكي" (Pierre- Vidal Naquet) في كتابه: "تعذيب داخل الجمهورية" "la torture dans la république"

منشورات مينوي، باريس، 1975

- "بيار هنري سيمون" (Pierre-Henri - Simon) صاحب كتاب: "ضد التعذيب" (Contre la torture)، منشورات

لوساي، باريس، 1957.

- "هنري علاف" (Henri Alleg) الذي نشر كتاباً سنة 1959 تحت عنوان: "السؤال الممنوع" (la question (interdit

ينضاف إلى ذلك العشرات من شهادات الجلادين والعسكريين الاستعماريين ممن مارسوا التعذيب ضد الجزائريين أثناء خدمتهم العسكرية من أمثال الجنرال "De labordière" والجنرال "Paul Aussaresses" في كتابه "Services spéciaux" و"جاك ماسو" Jacques Massu في كتابه "letorrent et la digue"، ناهيك عن شهادات المحامين والصحفيين ورجال الدين المسيحيين والأطباء والممرضين الفرنسيين (ينظر: بن داهة عدة، البعد السياسي للتعذيب في الجزائر خلال حرب الجزائر، ضمن أعمال الملتقى الوطني حول "سياسة التعذيب والاستعمارية إبان الثورة التحريرية وتداعياتها المعاصرة، تحت إشراف أ.د. محمد مجاود، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، 2006، ص 75، وص 81).

1-Ch-A.JULIEN, Histoire de l'Algérie contemporaine, t 1, p.323.

- التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية... ص 18.

- وهناك من ينسب هذا القول إلى الجنرال بيجو ولكن بصيغة أخرى هذا نصها >> هكذا تتم عملية الحرب مع العرب، فيجب أولاً وقبل كل شيء قتل رجالهم من سن 15 فما فوق والاستيلاء على الأطفال والنساء ثم إرسالهم إلى جزر الماركيز أو أي جهة أخرى، وبكلمة مختصرة إفناء كل ما من شأنه يزحف تحت أقدامنا كالكلاب>>(سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة، 2002، ص 21).

ويذكر الكولونيل " سكوت" (Scott) في مذكراته، وقد عاش هذا العسكري البريطاني رفقة الأمير عبد القادر سنة 1841، يقول: >> قد لا يعرف القارئ ما يسمّيه الفرنسيون الغزوة (RAZZIA) ولذلك سأخبره بأن هذه الكلمة تعني حملة عسكرية على قبيلة معينة، مدفوعة بتلك الروح "المسيحية السامية" لتقتل جميع الذكور، وتدمر كل ما لا يمكن نقله، ثم تعود بالنساء والأطفال أسرى، ولضمان نجاح هذه العملية يجري تخطيطها بسرعة كاملة>>1.

وإلى جانب الآلة العسكرية المتخصصة في القتل المبرمج، والتعذيب المهيكل والمؤسّس، جنّدت فرنسا الكولونيلية جهازا آخر مهمته التدمير من الداخل، يتكون من خبراء في الحرب النفسية يعملون جنبا إلى جنب مع الآلة الحربية لإخضاع الأهالي (Indigènes) واقتلاع جذور المقاومة وتحطيم معنويات الشعب، وذلك باستخدام الدعاية والإشاعة والأساليب البسيكولوجية الأخرى بغرض التأثير على نفسية ومعنويات العدو وإحداث مشاعر معينة بين الجماهير بغرض زعزعة ثقتها بنفسها وبقاداتها ومعتقداتها وحتى بتاريخها وهويتها، وكذا تفتيت عزيمتها وإضعاف إرادتها وإيجاد انشقاقات بينها مما يشغلها عن قضيتها الأساسية، ويسهل من ثم الانقضاض عليها وإخضاعها لإرادته دونما مقاومة تذكر2، واطلقوا على تلك المهمة اسم " تجريد الأهالي من سلاحهم المعنوي" (désarmement moral des indigènes)3.

1 مذكرات العقيد أسكوت من إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841..، ص 128.

2 ينظر: لخضر شريط وآخرون، استراتيجيات العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، ص (299).

3 Ch- AGERON, « l'échec d'une nouvelle France » in, Observateur ;N :09,pp.20 -21,Paris, 1992.

الملاحظ على هذا الأسلوب الجديد الذي لجأت إليه الإدارة الكولونيلية لم يكن وليد الصدفة، بل تضرب جذوره في أعماق تاريخ الاحتلال الذي وظّف كل ما أُوتي من قوّة وطاقة وإمكانات مادية وبشرية؛ علمية وعسكرية في مجال عمل متجانس لكسر شوكة المقاومة الشعبية من خلال ضرب قوة الإيمان بضرورة تحدي ومواجهة الاحتلال على الرغم من انعدام التوازن بشريا ولوجيستيكيا بين القوات الكولونيلية من جهة والمقاومة الشعبية الجزائرية من جهة ثانية، ذلك أنها تعود إلى المكاتب العربية التي أنشئت في الفترة الممتدة بين 1833 و 1870.) ينظر:-

Gregor Mathias : les sections administratives spécialisées en Algérie entre idéal et réalité (1955-1962), l'harmattan, France, 1998,pp. 14-16).

ويعدّ "لاموريسيار" أول رئيس لهذه المؤسسة، حيث جعل منها جهازا متقنا للإعلام والدعاية، وفيما بعد نظم "بيجو" مصلحة المكاتب العربية التي ترسّخت بقوة، وابتداءً من 1841 كان لإدارة هذه المكاتب السلطة على كل ما

إنّها لعمري جريمة دولة تناست مبادئها، فاخرقت القانون في تخط سافر لعدالتها، حيث حرمت شعب بأكمله، >> ليس فقط من الاستفادة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أو ضمانات قانون الهابيز¹، بل من أدنى حقوقه في الحياة>>².

ثانياً- الجنرال ماسو (Massu) والضابط أوساريس (Aussaresses) مطبقا فلسفة التعذيب والتنكيل والاعتقال في الجزائر

عمدت الحكومة الفرنسية من أجل القضاء على الثورة وتقويض أركانها إلى انتهاز أسلوب قمعي تعسفي عن طريق سنّها لقوانين رسمية، تهدف لهذا الغرض، وكان على رأس هذه القوانين؛ قانون حالة الطوارئ في 03 فيفري 1955، وكذلك قانون مبدأ المسؤولية الجماعية في 16 ماي 1955، وقانون حق المتابعة في سبتمبر 1955، فضلا عن إنشاء مراكز التعذيب، سميت بالمراكز الإدارية الخاصة (S.A.S) في بداية 1955، زد إلى ذلك إنشاء المناطق المحرمة بهدف تشريد السكان وعزل جيش التحرير عن الشعب عن طريق المحتشدات.

كل هذه القوانين سنّت بهدف واحد هو إبادة الشعب حتى ينصاع بالقوة، ونظرا لما صاحب هذه القوانين من زيادة كبيرة في عدد الجنود واستحداث وحدات أكثر تمرسا كوحدة المظليين، ارتكب الجيش الفرنسي مجازر ومذابح في هذه المرحلة تقشعر لهولها الأبدان، وتفاقمت عمليات القمع والإبادة والقتل، وأصبحت بمثابة إحياء لسياسة الأرض المحروقة³.

يخص القبائل، والحرب والإدارة والاستخبارات..(ينظر: محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص170).

1 قانون Habeas: هو قانون إنجليزي صدر عام 1697، مفاده ضمان الحريات الشخصية والحماية من التوقيف العشوائي (ينظر: جاك فرجاس، جرائم الدولة الكوميديا القضائية، قراءة وتعليق موسى زمولي، منشورات ثالة: الجزائر، 2013، ص 17).

2 نفسه.

3 قامت هذه السياسة بالأساس على:
أ/ قنبلة المداشر والقرى والمناطق الجبلية ومداهمة المساكن لإرهاب الشعب
ب/ القمع والإرهاب عن طريق ممارسة التعذيب بمختلف أشكاله وألوانه.
ج/ اللجوء إلى عمليات إبادة جماعية وفردية وعشوائية ومنظمة عبر مختلف أنحاء الوطن لزرع بذور الهزيمة في

وبناء عليه ستشهد الحرب في الجزائر عهدا جديداي يُستهل مع الجنرال "سالان" بدءاً من شهر ديسمبر 1956، حيث تمّ اختيار منهج قمعي شمل الجموع الغفيرة من المدنيين، حيث لم يعد هناك أي تمييز بين المدنيين والعسكريين، وقد اتخذت الإجراءات القمعية للجنرال سالان وتيرة متصاعدة ابتداءً من 1957، فتّم التأكيد منذ البداية على أن الحرب التي تواجهها فرنسا تفرض على الجيش تحمل مسؤوليات تتجاوز بكثير تلك التي دأب عليها تقليدياً، وكانت هناك قناعة مشتركة بين المسؤولين في أعلى المستويات بضرورة مواكبة التطورات الاستراتيجية، والتكتيكية ابتداءً من سنة 1957، واتخذت في هذه المرحلة الهيكلية الإدارية، والسياسية للوطنيين الجزائريين مكانة جديدة في الحرب، وكانت أول تعليمة تصدر من مسؤول الناحية العسكرية العاشرة تؤكد للقوات الفرنسية ضرورة القيام بإبادة التجمعات العسكرية، وتحطيم الهياكل السياسية لدى الخصم، وفي ظرف شهرين تابعت خمس تعليمات عامة أخرى تؤكد على النقطتين، وقد وجّه الحاكم المدني المسؤول في الشرق الجزائري في شهر جوان 1957، تعليمة للعساكر الموجودين في عمالته يذكرهم بالالتزام بالعمل على تحطيم المنظمة السياسية، والإدارية، وتمّ التركيز من قبل القوات على المهمة " المضادة للثورة "، حيث تسعى الاستراتيجية الجديدة إلى الحضور المتواصل للقوات الفرنسية في كافة التراب الجزائري¹.

ولتحقيق هذه الإستراتيجية طالب الجنرال سالان بأعداد إضافية، ولجأ إلى توظيف الرصيد البشري المشكل من الاحتياط، وتؤكد رافائيل برانش على أن الجيش الفرنسي لم يعد يستعمل الوسائل، والمناهج القتالية التقليدية، لكن أصبح يوظف وسائل ذات طابع إداري، وقانوني، تتمثل أسلحتهم في نصوص المدونات، والقوانين، والمراسيم، والقرارات، والتعليمات.

وقد جازف الجنرال "سالان" بإعطاء نصائح محدّدة تنأى بعض الشيء عن ما يسمح به التشريع الساري، حيث دعا إلى استخدام المروحيات من أجل القيام بعمليات اختطاف مؤقتة مفاجئ لأعداد من السكان يتم تعيينهم صدفة، أو بعد الاشتباه فيهم من

نفوس الجزائريين (ينظر: - توفيق برو: "جنون الاستعمار وجرائمه في الجزائر"، مجلة سرتا، (جزائرية)، عدد 716، السنة، 4 جويلية 1982، ص 58. و

-BoualemNedjadi: Les tortionnaires 1830/1962, Edition. Anep, Alger, 2001. P 206).

¹ينظر: التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية...، ص ص 131، 130.

أجل استنطاقهم، أو القيام بعمليات استنطاق مكثفة، واستغلالها، وإحكام كفاءتها ما أمكن ذلك¹.

وإلى جانب الأساليب الكلاسيكية التي اتبعتها مصالح الاستخبار، لم يكن بعض ضباط الاستخبار يترددون في التنكيل، والتعذيب الشديد الذي يصل إلى التصفية الجسدية للأشخاص المستنطقين.

ومع بداية سنة 1957 تحولت العدالة إلى أداة حرب ثورية مضادة في خدمة الجيش، وأكد سالان على ضرورة دفع الجيش إلى تسخير الوسائل المناسبة ذات الطابع الإداري، والقضائي بحيث تستجيب النصوص الإدارية، والقانونية للحاجيات المعبر عنها من قبل العسكر في الميدان، أو التي تدعو الحاجة إليها عند الممارسة.

لذلك فقد انتشرت مراكز التعذيب التابعة للجيش الفرنسي وضباط المخابرات فوق التراب الوطني كما تنتشر خلايا السرطان في الجسم لتعمل عملها في إنهاء وتحطيم معنويات الشعب الجزائري، فما من قرية أو دشرة إلا وأنشأت لها المراكز الإدارية المختصة (S.A.S) تشتمل على مقر أو مصلحة خاصة للتعذيب².

واشتهر من الجلادين والسفاحين العسكريين الفرنسيين الذين نظموا تعذيب وتقتيل الجزائريين والتنكيل بهم نتوقف على شخصيتان اثنتان هما:

1-الجنرال "ماسو": الذي عين قائدا للوحدة العسكرية العاشرة للمظليين، وأسندت له مهام القضاء على الثورة بمدينة الجزائر، حيث مُنحت له سلطات وصلاحيات واسعة بها في شهر جانفي 1957 لوضع حد للعمليات الفدائية، حيث عرفت هذه السنة >> منعطفا في تاريخ الحرب، بلغت مكانة الجيش حدّ قلب موازين السلطات، بعد أن تدرت ببريق الشرعية البالية>>³.

ويعرف هذا السفاح "ضابط معركة الجزائر"، وهو صاحب اقتراح " التعذيب الوظيفي" الذي يهدف إلى ردع الشعب حتى يثنيه عن القيام بعمليات فدائية⁴.

1 نفسه: ص 131، 132.

2 ينظر: محمد الأمين بلغيث: "موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب"، مجلة المصادر (جزائرية)، ص 190.

3 التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية...، ص 163.

4 HartmutElsenhas : La guerre d'Algérie (1954-1962) la transition d'une France à une autre , le passage de la IV à la v République, thèse de doctorat, traduit par Vincent goupuy,corr.Gilbert Meynier,Imp. France ,fev 2000, p.507.

و آلة التعذيب المفضلة عنده للحصول على المعلومات من الموقوفين كانت "المولد الكهربائي" (gégène) ، كما سبق له وأن اعترف بذلك أمام الرأي العام الفرنسي في حصة تليفزيونية عام 1972، حيث جرب هذه الوسيلة في مكتبه بحضور عدد من الضباط، وحاول عبر هذا الاعتراف تبرير وتقليل من أثر هذه الوسيلة، لأنها ببساطة حسب رأيه تمثل "التعذيب النظيف"¹.

وهو من قام بتصفية الشهيد العربي بن مهيدي أسد من أسود ثورة التحرير، وواحد من الوجوه التاريخية البارزة للثورة التحريرية، فهو أحد الأعضاء المؤسسين للجنة الثورية للوحدة والعمل (C.R.U.A) و التي أشرفت على التخطيط وتفجير الثورة التحريرية، وعين عضو لجنة 22 التاريخية في نهاية جويلية، كما أسندت له مهمة قيادة المنطقة الخامسة (وهران) أثناء اندلاع الثورة، وفي مؤتمر الصومام 1956 عُين في لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E) إلى جانب المجلس الوطني للثورة (C.N.R.A) ، وكُلّف بتنظيم الكفاح المسلح في الجزائر العاصمة (1956-1957) أين تمكن من تنشيط العمليات الفدائية للثورة التحريرية في الخفاء أثناء معركة الجزائر.

وفي 23 فيفري 1957 أُلقي عليه القبض من قبل الوحدة العسكرية التابعة للفرقة الأولى المظلية بقيادة الجنرال "ماسو" الذي كلف بالإشراف على إعادة الأمن من طرف القيادة الفرنسية في الجزائر العاصمة².

هذا، وقد تعرض الشهيد أثناء اعتقاله للتعذيب الجسدي والنفسي لمدة تسعة (9) أيام كاملة حيث أكد العقيد "بيجار" (Bigard) للصحف الفرنسية بعد الإعلان عن الانتحار المزعوم للشهيد ذلك بقوله <<إن العربي بن مهيدي يعرف كيف يقهر الألم>>³. كما أن إخفاء جثته على وسائل إعلام حتى الفرنسية بعد قتله يؤكد ذلك فقد تعودت وسائل الإعلام الفرنسية بأمر من السلطات إلى عرض صور القادة العسكريين لجيش التحرير الوطني

II- الضابط "أوساريس":

1 Roy Jules : J'accuse le Général Massu, Edition du Seuil, Paris VI, 1972, p.22.

2 ينظر: سليمان بارور: حياة الشهيد بن مهيدي، دار الهدى: عين مليلة (الجزائر)، د.ت، ص 79، و ص 87.

3 المنظمة الوطنية للمجاهدين: من شهداء الثورة التحريرية، منشورات الثقافة والاعلام: الجزائر، 1986، ص71.

الذي كان قائدا في منطقة الشبلي قرب مدينة بوفاريك قبل تعيينه كنائب لماسو في مدينة الجزائر في جانفي 1957، حيث أسندت له مهام التدخل والتنسيق بين ماسو والبوليس القضائي (PJ) لشن حملة اعتقال على المشتبه فيهم والمناضلين، وذلك من أجل إيقاف العمليات الفدائية التي تنفذها جبهة التحرير الوطني. فكان "رئيس الشبكة وعقلها المدبر أي شبكة فرقة المجرمين المحترفين" حسب بيير فيدال ناكيفي كتاب التعذيب في الجمهورية، وعُدَّ <<زعيم عصابة وآلة للقتل>>^{2.1}

وهو المعروف باغتيال الطبقة المثقفة الجزائرية، كما اعترف أوساريس بنفسه بعد مرور سنوات من قتل الشهيد البطل العربي بن مهيدي بالرغم من كونها جاءت ناقصة حيث لم تورد كيفية التعذيب التي تعرض لها ولا ملابسات الأحداث قبل إعدامه عمداً دون محاكمة ولا مبرر، وذنبه في ذلك أنه واحد من كبار قادة حركات التحرير يقول أوساريس عن جريمته: <<أنا لا أرى لماذا يكون بن مهيدي أفضل من الآخرين، وفي مجال الإرهاب لا يثيرني القائد أكثر من المنفذ البسيط. لقد قتلنا كثيراً من الشياطين البؤساء الذين ينفذون أوامر هذا الرجل، وهانحن نتلكأ منذ قرابة ثلاثة أسابيع من أجل ما الذي سنفعله فقط>>³. وبعد أخذ ورد بين الجزائر ماسو ونائبه أوساريس تمّ التوصل إلى ضرورة تسلمه من عند الفرقة الثالثة التابعة للمظليين بقيادة بيجار، يقول أوساريس: <<تفاجأت عندما رأيت فرقة المظليين التابعة للوحدة الثالثة تقوم بتحية الشرف الأخيرة لزعيم جبهة التحرير الوطني المهزوم، لقد كان هذا التقدير الذي قام به بيجار للرجل الذي أصبح صديقه>>⁴ ، ويضيف أوساريس موضحاً أطوار الجريمة المنظمة: <<وأدخلناه الشاحنة وتوجهنا به بسرعة مفرطة لأن كميناً تحضره جبهة التحرير الوطني لتحريره كان جدّ محتمل... وأعطينت أمراً أنه إذا تعرضنا لهجوم ما فاقضوا على بن مهيدي... وتوقفنا في مزرعة منعزلة كانت وحدتي تقيم فيها على بعد بضعة وعشرين كيلومتر جنوب العاصمة... وفي الوقت نفسه قمنا بإدخال السجن وعزله في غرفة مهيّئة سلفاً⁵، وكان أحد رجالي يقف قبالة بابها، وبمجرد إدخال العربي بن مهيدي إلى الغرفة

1 ينظر: مجلة L'intelligent (الفرنسية) رقم 2105 ماي، 2001، ص 242.

3 هيئة التحرير: "فضيحة الانسانية تدمير المدن والمشاتي"، جريدة المجاهد، 16/11/1959، ص 08.

4 نفسه.

5 دليل على سبق الإصرار والترصد بالشهيد.

قمنا بتقييده وشنقه بطريقة تفتح المجال لاحتمال حدوث عملية الانتحار وعندما تأكدت من موته أنزلته ونقلته إلى المستشفى>>1.

هذا التواطؤ الكبير في عملية قتل بن مهدي عمدا في ليلة الرابع مارس 1957 تؤكد أن أمر التخلص من الشهيد صدرت من جهات عليا للدولة الفرنسية2.

وهذا نلمسه من خلال الشهادة التي أدلى بها المحامي الفرنسي جاك فرجيس لإذاعة الجزائر وتكمن أهمية هذه الشهادة في تنفيذها الادعاءات الفرنسية بكون أن الشهيد انتحر، وهي طريقة تعودت عليها فرنسا لإخفاء جرائمها وقد سبق وقلنا أنه بإمكانها تحريف حقائق التاريخ، ولكنها لن تستطيع محو ذاكرة الشعوب.

وعُرف الجلاد أوسايس من قبل بمجزرة ملعب سكيكدة: 23 أوت 1955، حيث بعد أن تمكن جيش التحرير من توجيه ضربة خاطفة للمراكز الاستعمارية الفرنسية عبر كامل أنحاء الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955، لجأت قوات العدو والمدعمة بالكلون وتوجهات سلطاتها السياسية إلى شنّ عمليات انتقامية وقمعية رهيبة ضد المدنيين الجزائريين في المناطق التي شهدت الهجومات في كل من سكيكدة وعين عبيد والميليلة والحروش، خلّفت مجازر جماعية بلغ عدد ضحاياها ما يقارب 12 ألف من الأهالي، حيث نشرت جبهة التحرير حينها قائمة اسمية لعدد الضحايا3.

وفي يوم الأحد 21 أوت 1955، شرع رئيس بلدية سكيكدة " كروفو " الإشراف على عملية الفرز التي أسفرت عن إبادة جماعية...، في الوقت الذي سلّطت فيه شتى أنواع التعذيب الوحشي على بقية المعتقلين المدنيين...ومكث الجميع في الملعب وشيح الموت يخيم على الجميع... فالكل عرضة للضرب بالخناجر والتشويه الجسدي...وكان كل من يقتل يرمى بخنادق خصّصت للدفن الجماعي، فتحول الملعب البلدي إلى مقبرة جماعية4.

1 يعي بوعزيز: "ملاح ثورة نوفمبر الجزائرية ومواقف ديغول اتجاهها"، مجلة الأصدالة (جزائرية)، عدد خاص، ص25.

2 ينظر: مصطفى بو الطمين جودي، "كفاح ومواقف"، مجلة أول نوفمبر (جزائرية)، العدد 68، 1984، ص45.

3 ينظر: "أحداث 20 أوت 1955"...، ص100.

4 ينظر: عثمان الطاهر علي، الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع والإشهار: الجزائر، 1996، ص 125.

وها هو السفاح أوساريس يعترف مفصلا ما جرى: << قمنا بجمع الموتى المنتمين لجهة التحرير المتواجدين في الشوارع وفي الملعب البلدي كانت هناك 134 جثة مصطفة فوق أرضية الملعب وتحت حراسة جنود من الكتيبة 18، أما الذين سقطوا في الأحراش، فلم نعرّ عليهم إلا بعد أيام من ذلك عن طريق الروائح الكريهة المنبعثة لأننا كنا في عز شهر أوت قمنا باستعارة جرافة (حفارة)، وقمت بحفر حفرة تبلغ 100 متر طولاً و 2 متر عرضاً و 1 متر عمقاً، وقمنا بدفن الجثث... وفي الغد قدمت امرأة من مصلحة النظافة التابعة للمحافظة إلى مكنتي، حيث قاموا بتزويدي بـ أوكسيد الكالسيوم من أجل إخفاء الجثث>>1.

هذه المجازر وغيرها أقدم عليها أوساريس وهو كله يقين بأنه يؤدي في واجبه الوطني خدمة لبلده دونما أسف أو ندامة وأقواله تدل على ذلك: <<..إن التعذيب قد شكل في كل مراحل عملنا أسلوباً غاية في الفعالية والنجاعة، فهو يحمل معظم الذين تعرضوا ه على البوح بالمعلومات قبل أن ننهي حياتهم... هل مثل هذا العمل أثار في نفسي وخز ضمير؟ إنني أرى من واجبي الاعتراف: أبدا>>، ويقول فيموضع آخر << إن العمل الذي قمت به في الجزائركان من أجل بلادي، معتقداً في ذلك أنني أحسن صنعا، وإن كنت لم أرد أن أقوم به، وذلك أن ما نقوم به ونحن نعتقد أننا نؤدي من خلاله واجبنا لا يمكن لنا أن نندم عليه>>2.

<<...وهكذا كنت سأقوم، من أجل مصلحة بلادي، وفي الخفاء، بعمليات يمجّها الضمير العادي، عمليات تتم تحت غطاء القانون، ومن ثم تأخذ طابعها السري، كالسرقة والقتل والتخريب والإرهاب>>3

<< ونظراً للمهنة التي اخترتها، قمت بقتل بعض الأشخاص، وفعلت أشياء ترهق الأعصاب، غير أنني لم أكن أظن أنني سألجأ يوماً ما إلى التعذيب...>>4.

وختاماً، ومما سبق عرضه يتبين أن التعذيب أثناء الثورة التحريرية أصبح مباحاً بأوامر من السلطات العليا الفرنسية وأصبح من الأفعال الشرعية حتى صار وسيلة يومية

1 الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب، المصالح الخاصة: الجزائر 1955-1957، ترجمة: مصطفى فرحات، دار المعرفة الجزائر، ص 59، 60.

2 نفسه: ص 10.

3 نفسه: ص 16.

4 نفسه: ص 30.

للاستنتاج في كامل التراب الجزائري، ولم يكن ظاهرة تخص مجموعة من العسكريين، بل هي ظاهرة كانت سائدة خلال حرب الجزائر.. وكانت فرنسا تبرر أي عمل مهما كان نوعه من أجل الإبقاء على الجزائر فرنسية.

و لكن يبقى خير جواب للجلادين والسفاحين أمثال ماسو وأوساريس و وغيرهما هي تلك الكلمات المدونة على حائط إحدى زنانات سجن بربروس وحرفية نصها : >> بوسعكم أن تمزقوا جسي وأن تجعلوني ألفظ أنفاسي الأخيرة ولكنكم لن تتمكنوا أبدا من سحق روجي التي ستظل ترف على فضائحكم رغم أنوفكم <<.

ويبقى عزاء شعبنا عبارة الباحث ألبير ميمي في كتابه " الإنسان المغلوب" (l'homme dominé): "إن الحرية هي أفضل على الإطلاق من العبودية، ولا ينبغي أن يأسف فرد أو شعب على مقدار ما يضحى به من أجلها".

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر

الجنرال أوساريس:

شهادتي حول التعذيب، المصالح الخاصة: الجزائر 1955-1957، ترجمة: مصطفى فرحات، دار المعرفة الجزائر.

ثانيا- المراجع

1/ بالعربية

بوعزة بوضرساية وآخرون:

الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954.

سعدي بزيان:

جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة، 2002.

عبد المجيد عمري:

النخبة الفرنسية والثورة الجزائرية، مطبعة دار الشهاب، باتنة، د.ت.

عثمان الطاهر علي:

الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع والإشهار: الجزائر، 1996.

السعيد بورنان:

شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962 - رواد المقاومة الوطنية في القرن 19، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، ط 02، 2004.

سليمان بارور:

حياة الشهيد بن مهيدي، دار الهدى: عين مليلة (الجزائر)، د.ت.

محمد العربي ولد خليفة:

الجزائر المفكرة والتاريخية أبعاد ومعالم، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، 2010.

محمد علي دبوز:

هضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية: الجزائر، 1965، ج 1، ط 1.

لخضر شريط وآخرون:

استراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954.

المنظمة الوطنية للمجاهدين:

من شهداء الثورة التحريرية، منشورات الثقافة والاعلام: الجزائر، 1986.

2/ المترجمة

جالك فرجاس:

جرائم الدولة الكوميديا القضائية، قراءة وتعليق موسى زمولي، منشورات ثالة: الجزائر، 2013.

رافائيل برانش:

التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار أمدوكال للنشر، 2010.

الكولونيل أسكوت:

مذكرات العقيد أسكوت من إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة وتعليق، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 1981.

محفوظ قذاش:

جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر،

2008

3/ باللغة الأجنبية

BoualemNedjadi:

Les tortionnaires 1830/1962, Edition. Anep, Alger, 2001.

Gregor Mathias :

les sections administratives spécialisées en Algérie entre idéal et réalité (1955-1962), l'harmattan, France, 1998.

HartmutElsenhas :

Laguerre d'Algérie (1954-1962) la transition d'une France à une autre , le passage de la IV à la V République, thèse de doctorat, traduit par Vincent goupuy, corr. Gilbert Meynier, Imp. France ,fev 2000 .

Roy Jules : J'accuse le Général Massu, Edition du Seuil, Paris VI, 1972.

ثالثا- المقالات والدوريات ومواقع الأنترنت وأعمال الملتقيات

إبراهيم شيبوط:

" أحداث 20 أوت 1955 "، مجلة أول نوفمبر (جزائرية)، عدد 68، 1984، ص98.

أحمد رضوان شرف الدين:

" التعذيب: قراءة في جريدة المجاهد (1957-1962)"، مجلة المصادر(جزائرية)، العدد 8، ماي 2003.

توفيق برو:

"جنون الاستعمار وجرائمه في الجزائر"، مجلة سرتا،(جزائرية)، عدد 716، السنة، 4 جويلية 1982.

بن داهة عدة:

"البعد السياسي للتعذيب في الجزائر خلال حرب الجزائر"، ضمن أعمال الملتقى الوطني حول " سياسة

التعذيب

الاستعمارية إبّان الثورة التحريرية وتداعياتها المعاصرة، تحت إشرافأ.د. محمد مجاود، مكتبة الرشاد

للطباعة

و النشر والتوزيع: الجزائر، 2006.

محمد الأمين بلغيث:

"موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب"، مجلة المصادر(جزائرية).

مصطفى بوالطين جودي:

"كفاح ومواقف"، مجلة أول نوفمبر (جزائرية)، العدد 68، 1984.

هيئة التحرير:

"فضيحة الانسانية تدمير المدن والمشاتي"، جريدة المجاهد، 1959/11/16.

يحي بوعزيز:

"ملاحم ثورة نوفمبر الجزائرية ومواقف ديغول اتجاهها"، مجلة الأصالة (جزائرية)، عدد خاص.

مجلة: L'intelligent (الفرنسية) رقم 2105 ماي، 2001.

Ch- AGERON :

« l'échec d'une nouvelle France » in, Observateur ;N :09,Paris, 1992 le nouvel

Observateur N: 1884 du 14 au 20/12/200